غراب والشيخ زعزوع يعلمون الغيب حتى بعد موتهم. ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمش على الماء أو يطر فى الهواء، ولكن السادة المذكورين آنفا كانوا يصلون الظهر فى قراهم والعصر فى مكه والمغرب فى المدينة المنورة ثم يعودون لا تدرى كيف إلى قراهم ليصلوا العشاء، ويتعشوا عشاء الملوك ديكة رومية وخرافا مشواة وفطيرا يعوم فى السمن ثم يسبحون فى المهلبية سبحا.

ومن هنا فإن الفلاحين فى الدنيا كلها أعداء الحضارة، فإن الحضارة تسير إلى الأمام وهؤلاء متربسون فى مواقعهم لا يتخلون عنها، ولم يحدث قط فى التاريخ إن خرج اختراع من قرية أو بدأت حركة تقدمية من قرية..

والفلاحون – فى الدنيا كلها كذلك – أعداء الحكومات لأن الحكومات تعيش على الضرائب ، والفلاحون لا يدفعون الضرائب إلا بالعافية، والصراع دائم بين الزراع ورجال الضرائب، ومن الأقوال المأثورة عن المؤرخ الرومانى مارسيلوس إيمانوس قوله: خذ من الفلاح المصرى ما يعطيك، لأنك مهما فعلت لن تستخرج منه إلا ما يريد أداءه، وإذا كانت عندك الجلدة والسوط والعصا، فإن لديه الذكاء والخبث والحيلة وأنت لن تهزمه أبدا.

□□□

وقد كان كارل ماركس يكره الفلاحون ولا يتوقع منهم خيرا وتبعه فى ذلك لينين، وكلاهما رغم شيوعيتهما كانا من أذكى خلق الله وأقدرهم على صنع وفهم التاريخ.

ونحن هنا فى مصر نعرف من خبث الفلاحين ولؤمهم وجشعهم فى الأرض والمال ما يحار له العقل، وليس فى هذا القول مساس بشخصية الفلاح لأنها حقيقة واقعة وعندما ابتكرت ثورتنا إصلاحها الزراعى وفصلته على مزاجها. وانتزعت الأراضى من أيدى أصحابها ووزعتها قطعا صغيرة